مفهوم الشعور في فلسفة جان جاك روسو

أ. م. د. زياد كمال مصطفى / كلية الآداب جامعة الموصل – قسم الفلسفة

تاريخ الاستلام : 2020/11/20
تاريخ القبول : 2020/12/8

الملخص:

تقتضي فلسفة الشعور عند روسو إلقاء نظرة عميقة على روسو الإنسان ، روسو المربي ، في عزلته وعقده الاجتماعي ، في أحلام يقظته واعترافاته ، في صفحات مقالاته ما بين العلوم والفنون والموسيقى ، فضلاً عن أصليّ التفاوت بين الناس واللغات ، ودين الفطرة . في هذا البحث نهدف إلى الوقوف على القاسم المشترك ما بين هذه الحلقات المعرفية المتضايفة ، مقتفين في ذلك منهجاً تحليلياً مُقارناً ، نحن هنا مع فلسفة شاعر استفتى قلبه لينصف الموسيقى برومانسية من العاطفة الحُرّة ، وأحبّ الطبيعة جوالاً منفرداً ليحلق فيها بخياله الأخاذ وتصويره الجمالي اللافت. انها فلسفة مُستحدِثة لنظام جديد من الاحساس والعقل دشّنت بثورتها كوبرنيكوسية في الأخلاق سيقرها كانط فيما بعد. وهي فلسفة تقتضي أن نأخذ بوصية صاحبها، علينا أن نستفتي قلبنا ، وأن " نقرأ روسو إلى أن تكّف جمال عباراته عن فتنة مشاعرنا "، عندها فقط نستطيع أن نتفحّصه في روية وتعّقل كما فعل ذلك فيلسوف المثالية النقدية ، لننتهي بنتيجة قراءتنا لمفهوم الشعور بالانتقال مع روسو من الحس الأخلاقي إلى الوجدان.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة ، الشعور ، الفن ، الأخلاق .

The Concept of Feeling in Rousseau's philosophy

Assistant Professor Dr. Ziyad Kamal Mustafa Aljaaf

University of Mosul

alsoranydrziyad75@gmail.com

Mobile: +9647716977139 & 07501716761

Receipt date: 20/11/2020
Date of acceptance: 8/12/2020

Abstract

Rousseau's philosophy of feeling requires an deep look at Rousseau the human, Rousseau the educator, in his isolation and social contract, In his waking dreams and confessions, In the pages of his articles between science, art and music, As well as the original disparity between people and languages, and the innate religion. In this paper, we aim to identify the common denominator between these interdependent contradictions knowledge. We follow a comparative analytical method. We are here with the philosophy of a poet whose heart has been solicited to do justice to the music with a romance of free passion, And intellectual class trips full of intuition and sensations, Rather, it is the philosophy of a poet who turned his heart to do music with romance from free emotion, he love nature as a solo traveler to fly in it with his breathtaking imagination and its striking aesthetic descriptions .It is a philosophy introducing a new system of feeling and reason inaugurated by its Copernican revolution in morality, which Kant will later endorse. It is a philosophy that requires that we take the commandment of its owner, We have to survey our heart, And to "read Rousseau until the beauty of his phrases ceases to seduce our feelings". Only then can we examine it carefully and with reason, So did the philosopher of critical idealism , Let us conclude with the result of our reading of the concept of a feeling of transitioning with Rousseau from moral sense to conscience.

Keywords : Natuer, The Feeling, Art, Ethic.

المقدَّمة

تقديم : ملامح تكّون فلسفة الشعور في سيرة وكتابات روسو

ولد روسو في جنيف 28 يونيو 1712 ، ولد عليلاً ضعيفاً في غاية الهزل ، حاله كحال فولتير ، حتى كان الأمل في حياته طفيفاً ، وتولته عمته بعنايتها ، وتعهده أبوه بالرعاية وتحمل مسؤولية تربيته ، وكان يعمل في اصلاح الساعات ، وكان صاحب مزاج رومانسي متقلب وسريع الغضب وقد ألهم روسو حب الطبيعة وعشق الكتب ، ولا سيما الأعمال الكلاسيكية والتاريخ (ووكلر ، 2015 : ص 12) . أسرة روسو فرنسية الأصل ، نزحت من باريس لأسباب دينية واستقرت في جنيف عام 1529 ، وكانت أمه سوزان برنار مليحة القسمات ، موفورة الحيوية واسعة الثقافة تحب الموسيقى ، وتقرأ القصص وتعرض الشعر. وقد كلفتها ولادته حياتها ، هكذا فقد روسو يوم ولادته – الى جانب حنان الأمومة – خير ضمان لتربية مستقرة (المستكاوي ، 1989: ص 7).

ولعل هذا مادعا روسو أن يقول في اعترافاته : " لقد اثر تداعي صحتي على طبعي ، كما هدأ من حمية خيالي . فما أن شعرتُ بضعفي حتى أزددت هدوءاً ، وفقدتُ بعض شغفي بالأسفار. واذا ازددت استقراراً تعرضتُ لا للملل وانما للأسى والسوداء ، فاذا التهوس وأصبحت ابكي واتنهد دونما سبب ، وشعرتُ بأن الحياة تفلت مني دون أن أكون قد تذوقتها ، وأخذت اتحسر على الحال التي سأترك (أمي) البائسة فيها ، وعلى الحال التي كنت أراها موشكة على التردي فيها " (روسو ، 2013 : ص165-166) .

ولم تكن حياة روسو في بداياتها هي الغريبة فحسب ، بل أصبح – فيما بعد- فريداً في تفكيره كذلك ، إذ لم يكن يحب أن يقلد أحداً من السابقين فهو حين كان يريد مثلاً أن يكتب في التربية استلهمها من خواطره الخاصة ، كذلك اذا ما أراد أن يصف مشهداً طبيعياً لا يلجأ الى الكتب ولا يستعيد الصور من غيره كما كان يفعل بعض معاصريه من الأدباء (روسو ، 2009 : ص 90). فلقد كتب في مستهل كتابه الاعترافات " إنني مقدم على مشروع لم يسبقه مثيل ، ولن يكون له نظير ، إذ أنني أبغي أن أعرض على أقراني انساناً في أصدق صور طبيعته .. وهذا الانسان هو أنا ! .. أنا وحدي .. فإنني أعرف مشاعر قلبي كذلك أعرف البشر " (روسو ، 2013 : ص9).

كذلك من الممكن التعّرف على طبيعة شخصية روسو وخلجاته العاطفية والنفسية ، من خلال كتابه أحلام يقظة جوال ، إذ أفصح روسو في هذا الكتاب عن شعور واضح (بالعزلة والاغتراب) يعبر عنهما بقوله "ها أنذا وحيداً في الدنيا ، لم يعد لي من أخ أو قريب أو صديق أو صحبة سوى ذاتي ... لقد كان من الممكن أن أحب الناس بالرغم منهم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينسلوا من محبتي هذه الا حين كفوا عن أن يكونوا بشراً . فلا غرو أن أصبحوا غرباء مجهولين ثم نكرات بالنسبة لي ماداموا قد ارادوا لأنفسهم ذلك " (روسو ، 2009 : ص 95) .

المهم أن روسو كان قد اختار لنفسه هذه العزلة وهو متجاوز لسن الأربعين ميلاً منه للوحدة والتفرغ لعمل كان قد شرّع فيه خلال تلك الفترة كي تكون تأملاته طويلة هادئة بعيدة عن صخب المجتمع (روسو ، 2013 : ص 117-118) . إذ لم يكن ذلك بالنسبة له ميلاً كبيراً للاعتداد بالنفس بقدر ما هي عاطفة مصطنعة كانت تتوقد في نفسه حينما كان في المجتمع وبخاصة

حينما غدا مؤلفاً ، إذ كان ذلك الاعتداد ، على حد قوله ، وراء محبته لذاته ، وانتظامه في سلك الطبيعة ، ومُخّلصاً إياه من نير عرف المجتمع (روسو ، 2009 : ص 182) .

ولعل هذا الاعتداد بالنفس لدى روسو لم يتأتى من فراغ بقدر ما تأتى من ذلك الشعور الذي يصفه في أحلام اليقظة حينما يقول " إن الله عادل ، وهو يريد أن أتألم وهو يعلم إنني بريئ ... ذلك هو سبب ايماني الذي يؤكد قلبي وعقلي انه لن يضللني . فلندع الناس والقدر اذن لما يعملون ولنتعلم كيف نحتمل الألم بغير تذمر ، فلا بد وأن تنتظم الأمور جميعاً في النهاية وسيحل دوري ان عاجلاً أو آجلاً" (روسو ، 2009 : ص112) ، وروسو هنا إنما يُشّبه موقفه بموقف أوغسطين الذي عزى نفسه عن تعذيب الناس له باعتبار أن هكذا كانت مشيئة (الله) . حتى أنه منذ أن أبعد من المجتمع الانساني ، وطوال فترة انعزاله الطويلة –التي فرض عليه أن يقضيها في أيامه الأخيرة– مع ذلك ، فقد كان يسترجع في رضا غامر عواطف قلبه جميعاً وميوله الرقيقة العمياء (روسو ، 2009 : ص 105) .

ويبدو أن الظروف جميعاً كانت مهيأة لاسعاد روسو إلا ظرفاً واحداً ، فقد كان يظن انه محاط باعدائه يتابعون في عناد مؤامراتهم ضده ، ولهذا كتب "الاعترافات" ، و"أحلام المنفرد" و"الحوارات" وغيرها ليتخلص من تلك الفكرة التي استبدت به (روسو ، 2009 : ص31–32). فلقد أدرك روسو انه غريب بين بني الإنسان ، ولم تكن حوادث السوء التي لاقاها فيما بعد إلا لتساهم في تنمية شعوره هذا بأنه غريب عن البيئة . وقد استفزته هذه الحوادث بحيث خلقت فيه خوفاً من الناس حقيقياً ، وانطباعاً بأنه وحيد في العالم وحدة مُطلقة (غروتويزن ، 1982: ص 99) اذ يقول "لقد كنت أكتب اولى اعترافاتي Confessions وحواريّ Dialogues ، وهمي الدائم البحث عن الوسائل التي تمكنني من اخفائها على ايدي مضطهديّ الباطشة حتى اسلمها ، ان كان ذلك ممكناً لأجيال أخرى ولكن القلق نفسه لا يساورني بالنسبة لما أكتبه هنا لأنني ادرك انه لا جدوى من ذلك وان الرغبة في أن تزيد معرفة الناس بي – وقد تلاشت في نفسي – لم تخلف سوى عدم الاكتراث الشديد بمصير كتاباتي الحقيقية وآثار برائتي على السواء التي ربما تم القضاء عليها الى الأبد" (روسو ، 2009 : ص 102).

لكن روسو كان مُجبراً على مشاعره تلك لا بطلاً ، ذلك أن هجمات اعدائه وبعض اصدقائه القدامى ولّدت الشك في نفسه لدرجة انه –في قرارة نفسه– كان يوّد التأكد بانه لم يكن مُذنباً في حكمه ، اذ يشير في أحلام جوال إلى أنه "طالما كان الناس اخوة لي فقد كنتُ أشيد مشروعات سعادة دنيوية ، ولما كانت هذه المشروعات دائماً متعلقة بالمجموع ، فلم أكن أستطيع أن أكون سعيداً الا بسعادة الجميع ، ولم يحدث أن مست قلبي مطلقاً فكرة السعادة الفردية إلا حين رأيت اخواني لا يبحثون عن سعادتهم إلا في شقوتي . وعندئذٍ كان من الواجب حتماً تجنبهم حتى لا أبغضهم ... لأن أشد ألوان الوحدة قسوة كان يبدو لي أفضل من مجتمع الأشرار الذي لا يغتذي الا بالخيانة والبغضاء؟ " (روسو ، 2009 : ص 169) .

أما عن دليل اضطرار روسو ، فهو يشير في دين الفطرة إلى أن " هم كل واحد منا مصلحته الخاصة . لكن ، عندما نحزن مابالنا نتأسى بحلاوة الصداقة وعذوبة الحنان؟ وحتى في الأفراح إن لم يشاركنا أحد لماذا نشعر بالوحشة والضيق؟" (روسو ، 2012 أ ت : ص 70–71). فكان احساس روسو بانه وحيد مهجور ببرود الثلوج الأولى ، وكان خياله الآخذ في النضوب – على حد قوله– "لا يستطيع أن يملأ فراغ وحدته بكائنات صيغت وفق هواه" (روسو ، 2009 : ص 105) .

والحقيقة إن رغبة روسو في الوحدة والعزلة كانت متلازمة مع عداوته للترف والمدنية ونظام الطبقات وحبه للحرية ، اذ تعد رسالته في (العلوم والفنون) مفتاحاً لنشوئه الذهني ، وفي كونها مرحلة مؤدية الى "العقد الاجتماعي" ، فالواقع ان هذه الرسالة تحتوي على أصل مذهبه وعقيدته التي منها تعلم كل ذلك (روسو ، 2013ع : ص 13).

من هنا كان روسو مفطوراً على حب الريف ، ولم يكن يسأم من التمتع بطبيعتها ، فاستقر هذا الذوق في روسو ولازمه حتى بات لافتاً كاحدى صفاته الجوهرية ، إذ سيواجه هو دائماً بساطة الريف بفساد الحضر (روسو ، 2013ع : ص 13) . ويقول في ذلك " انني أقطن في وسط باريس ، وعند خروجي من منزلي أتحسر على الريف والوحدة ، ولكن ، عليّ أن أبحث عنها بعيداً حتى انه قبل أن أستطيع أن أتنفس كما أشاء أجد في طريقي ألف شيء يعتصر قلبي وينقضي نصف النهار في هموم قبل أن أصل الى الملاذ الذي أسعى إليه وأكون سعيداً على الأقل إذا ما تركت اكمال طريقي ... إن اضطراب قلبي يختفي باختفاء دافع الاضطراب وأعود الى السكينة حالما أكون وحيداً "(روسو ، 2009 : ص 185).

فكان من بين الديار التي أقام فيها روسو ، كانت تسعده جزيرة سان بيير Sant Pierre القائمة وسط بحيرة بيين Bienne التي وصفها بأنها " لطيفة جداً ، وتفردت بموقع كفيل باسعاد من يهوى الانطواء على نفسه " (روسو ، 2009 : ص 143).

فما عرف به روسو هو أن الوصف والتصوير كان من بين العناصر الأساسية التي اعتمد عليها وتحديداً في خطابيه عن (أصول عدم المساواة بين الناس) و(العلوم والفنون) ، وذلك من أجل السمو بأسلوبه ومادته في آن واحد ، ولتغذية خطاباته بعناصر التأثير والنفوذ إلى النفوس والمشاعر ، ولصبغها بالصبغة الفنية وتغليفها بالخيال الخصب (القدرة ، 2002 : ص 235). إذ استحضر روسو في هذه الجزيرة صوراً لملاذ محمي بديع المنظر جداً لدرجة إنه كان من الممكن أن يكتب عن كل ورقة عشب في مروجه وكل أشنة تغطي الصخور ، حيث كان يمضي فترات الظهيرة في استكشاف نباتات الصفصاف والبرسيكاريا والشجيرات بكل أنواعها ، أو كان يستلقي ممداً في قارب جانح حيثما تسوقه المياه ، في معتكف من السعادة الشديدة التي كان سيرضى بالعيش فيه طوال حياته (ووكلر ، 2015 : ص 142) ، وكل ذلك إنما يعبر بشكل أو بآخر عن مدى حب روسو للطبيعة وشغفه بها .

والواقع إن كتب روسو في الغالب كانت (أحلاماً) ، فهو كان حساساً ، والإنسان الحساس لا تترجم انفعالاته إلى أعمال ولكنها تولد عنده طائفة من الخواطر والتأملات والأحلام ، وهذه ، على ضوء ما يقوله الفيلسوف الفرنسي ، الذي عرف بمساهماته في علم الطباع ، رينيه لوسين (1882–1954) ، تولد في الروح طموحاً إلى الرفعة واستنكاراً للأوضاع مما يجعله دائب البحث عما يبرر شعوره ذلك (روسو ، 2009 : ص 31). ونحن إذا تأملنا حياة روسو نفسها وجدنا إنه حقق بها حياة بطل رومانتيكي بكل ما في تلك الحياة من عدم تجانس وفوضى وهروب دائم من المجتمع ومشاعر متقدة وأحزان ، إذ كان يحس وهو يكتب "الاعترافات" و "أحلام اليقظة" ان روحه تنطوي على تألم لا يدرك كنهه وان في قلبه فراغاً لا يمكن أن يمتلئ ، فقد كانت (العاطفة) تسير مع (الألم) جنباً إلى جنب والنفوس الحساسة يبعث تألمها القلق والاضطراب مما سميّ بسأم القرن وهو من أكبر خصائص العصر الرومانتيكي (روسو ، 2009 : ص 88).

ولذلك نجد أن فيلسوفاً كبيراً مثل ول ديورانت يتسائل قائلاً عن روسو " كيف حدثَ أن رجلاً ولد فقيراً ، وفقد أمه عند مولده ، ثم هجره أبوه بعد قليل وابتلى بمرض أليم مُذل ، وترك يضرب في الآفاق اثني عشر عاماً بين مدن غريبة ومذاهب دينية متناحرة ، مرفوضاً من المجتمع والحضارة ، رافضاً فولتير وديدرو... رجلاً طورد من مكان إلى آخر باعتباره ثائراً خطراً ، واتهم بالاجرام والجنون ، كيف حدث أن رجلاً كهذا ، بعد موته ، انتصر على فولتير ، وأحيا الدين ، وقلب التعليم رأساً على عقب ، ورفع أخلاقيات فرنسا ، وألهم الحركة الرومانسية ، والثورة الفرنسية وأثر في فلسفة كانط وشوبنهاور ، وتمثيليات شيلر ، وروايات جوته ، وشعر وردزورث وبيرون وشلى ، واشتراكية ماركس وأخلاقيات تولستوي؟" (ديورانت ، 1967 : ص 9).

فلعلنا نسعى في بحثنا هذا ، للاجابة على بعض من تلك الأسئلة ، وتحديداً فيما يتعلق بماهية الشعور كفلسفة وجدان تنحو نحو الفكر السليم عند روسو ، وبالتالي محاولة الوقوف على نمطين أساسين لتلك الماهية ، أي الفن ، ومن ثم الأخلاق . لذا كان لا بد لنا أولاً ، وقبل الشروع في ذلك ، أن نميز ما بين مفهومي العقل والشعور عند الفيلسوف .

المحور الأول : ما بين العقل والشعور Between mind and feeling

كان لروسو شغف كبير بالكتابة والقراءة والتعلم حتى آواخر سني عمره ، وهو القائل في ذلك "إنني أشيخ وما أزال أتعّلم" (روسو ، 2009 : ص 113) .، فكان مما تمّيز به الفيلسوف عن كُتّاب عصره اسلوبه البديع وجملته الموسيقية الجذابة وتعبيراته القوية وبلاغته ومنطقه (روسو ، 2009 : ص90) . فهل قُدِر لروسو بذلك أن يفرض جل آرائه على التفكير الانساني وعلى القلب الانساني ؟، وفق اعتبار أن ما صدر عن القلب حلّ في القلب ، أو انه كثيراً ما يكون القلب أكثر اقناعاً من العقل .

إن صور اعتداد روسو بذلك ، ما يقوله في الاعترافات " لستُ أراني قد خلقت على شاكلة غيري ممن رأيت بل انني لأجرؤ على أن أعتقد بأنني لم أخلق على غرار أحد من الوجود! .. واذا لم أكن أفضل منهم فإنني– على الأقل – أختلف عنهم! .. ولن يتسنى البت فيما إذا كانت الطبيعة قد أصابت أو أخطأت إذ أتلفت القالب الذي صاغتني فيه إلا بعد قراءة هذه الاعترافات" (روسو ، 2013 : ص9) . فهل سعى روسو في فلسفته ، التعبير عن مجرد الأفكار ، أم العواطف والمشاعر بشكل أوفر؟.

يشير غوستاف لوبون إلى أنه لم يكن (العقل) قاعدة الفلسفة في كل وقت ، فقد استندت الفلسفة كعلم اللاهوت ، إلى عناصر (عاطفية ودينية وجدانية) زمناً طويلاً ، وكان الخلاف بين "الوجدان والعقل" قد شغل بال المفكرين في الحقبة اليونانية ، فقد أثبت سقراط مثلاً ما سميّ بعد زمن طويل "باللا شعور" وذلك بوصفه المُتفننين والشعراء (بالحماسة) ، لا بالحكمة . كذلك فإن النظرية التي اتخذها كثير من المفكرين في القرون الوسطى كانت قد اعتدت بالوجدان في مكانة أرفع من العقل (لوبون ،2013: ص 131) . لذا فإننا فيما يتعلق بالنظر في بيان جدلية العلاقة ما بين العقل والشعور لن نتناولها بصفتها الفلسفية العامة عبر تاريخها الطويل ، بل في مدى اختلاف روسو عن سابقيه ، والبعض من معاصريه ، في معالجة تلك العلاقة وطرحه لها.

يقول روسو في كتابه دين الفطرة " بدا لي وأنا أتأمل طبيعة الإنسان إنه ينطوي على عنصرين مختلفين : (أحدهما) يجذبه نحو الحقائق الأزلية ، يدعوه إلى حب العدل والفضيلة ، إلى اقتحام العالم العلوي الذي يبهج قلب الحكيم ، (والثاني) يربطه بذاته السفلى ، يجعله أسير حواسه ، مطاوعاً لأدواتها ، معاكساً بذلك كل ما يلهمه العنصر الأول" (روسو ، 2012 د ف : ص 51). والواضح من ذلك أن رأي روسو يتضمن بأن أول احساس في الانسان كان هو شعوره بوجوده ، وكان أول اعتناء بالنسبة له هو اهتمامه ببقائه ، وكان الجوع وغيره من الشهوات يشعره بمختلف أساليب البقاء مناوبةً ، سعياً منه لإدامة نوعه ، وبما أن هذا الميل الأعمى عارٍ من كل شعور قلبي ، فانه كان لا يسفر عن غير عمل حيواني خالص " فاذا ما قضي الوطر عاد الجنسان لا يتعارفان ، وعاد الولد لا يكون للأم شيئاً مذكوراً عندما لا يستطيع الاستغناء عنها . هذا ما كان عليه حال الإنسان الناشئ ، وهذا هو عيش الإنسان المقصور في أول الأمر على الاحساسات الخالصة" (روسو ، 2012 أ ت : ص57 – 58).

فهل يفهم من ذلك أولوية (للعقل) على (الشعور) ، أم أفضلية للشعور على العقل ؟ ، وروسو هو من أقر في أكثر من مناسبة بأنه يزدري شعباً يولي أهمية مفرطة لأغانيه ويضع موسيقييه في مرتبة أرفع من فلاسفته . لأنه إذا كانت مهمة الشاعر هي أن يكتب شعراً ، ومهمة الموسيقي أن يؤلف موسيقى ، فإن الفيلسوف وحده هو القادر أن يبحث في هذا وذاك معاً (بورتنوى ، 2004 : ص 208–209). وهذا ما طبقه روسو على نفسه بصفته صاحب رسالة إنسانية ، سواء كفيلسوف أو كأديب .

صحيح أن ذلك يعني بأن روسو يرى في الفيلسوف المفكر والشاعر ، وأن هذه النظرة ستؤثر على أولوية الشعور بالنسبة لأغلب كتاباته والتي منها قوله : " الوجود بالنسبة لنا يعني الشعور ، والشعور سابق لا محالة على الفكر إذ شعرنا قبل أن نفكر ، لكن أياً كان المتسبب في إيجادنا فإنه زرع فينا ، حتى نحافظ على ذاتنا احساسات وعواطف مؤاتية لها ، لا بد من الاعتراف على الأقل أن هذه الاحساسات والعواطف مطبوعة فينا . تلك التي تخص الفرد هي حب الذات ، تجنب الألم ، استفظاع الموت ، التطلع الى السعادة " (روسو ، 2012 د ف : ص 77). حتى الارادة هي –في نظر روسو– من أجل خيرنا أو صالحنا باستمرار ' فهي صائبة دائماً ، وتهدف الى النفع العام (روسو ، 2013ع : ص 55). ذلك أن الشيء الوحيد الذي يولد مع الإنسان ، والذي لا يتخلى عنه طيلة حياته هو (حب الذات) ، وهذا الانفعال بدائي وغريزي ويسبق كل الانفعالات الأخرى التي لا تكون سوى تعديلات له بمعنى ما . وعلى حد تعبير كوبلستون فإن اطروحة روسو المستمرة هي أن حب الذات هو الدافع الأساس في الإنسان ، فرغباتنا تسبب انفعالاتنا ، ولما كانت رغبات الانسان البدائي هي رغبات فيزيائية خالصة ، فإن المحافظة على الذات هي اهتمامه الرئيس في الغالب (كوبلستون، 2010: ص116) . فالاعتداد بالنفس ولدّ لدى روسو فكرة مفادها إن أول واجباتنا هي واجباتنا نحو أنفسنا واحساساتنا الأولية تتركز في ذواتنا ، وحركاتنا الطبيعية تتجه أولاً إلى حفظنا وهنائنا وسلامتنا (روسو ، 1958 : ص 99) . وبذلك تكون مشاعرنا ناجمة عما يجب لنا لا ما يجب علينا.

ومن منظور معين يرى روسو أن الأفكار عواطف كما أن العواطف أفكار. إذ ينطبق الاسمان على أي محسوس يشغلنا في آن بالموضوع الخارجي وبالنفس المتأثرة به . وإن اهتمامنا بهذا الأمر أو ذاك هو الذي يحدد الأسم المطابق . فإذا انشغلنا أولاً

بالموضوع قبل أن ننتبه للنفس بعد تأمل ، فهذه (فكرة). وإن انتبهنا أولاً لتأثرنا بالواقع ولن نعِ بهذا الواقع إلا بعد حين ، فهذه (عاطفة) (روسو ، 2012 د ف : ص 77).

لكن التطور الأخلاقي يكمن في واقع الأمر في التوجيه الصحيح وتوسيع انفعال (حب الذات) الأساسي من حب الذات إلى الآخرين ، أي أن حب الذات يتطور الى حب كل البشر كما أن العاطفة الأولى للطفل هي حب الذات ، وعاطفته الثانية هي حب أولئك الذين حوله (كوبلستون ، 2010 : ص 118–119) . فمثلا نمو الحواس يذكي في الطفل نار المخيلة ، ويبدأ بالاحساس بما يعانوه الآخرون ، ويتأثر لشكواهم ويتألم لالآمهم ، وعندئذ يجب أن تصل الى قلبه أحوال البشرية وتحمل إليه أول احساس بالعطف والحنان (روسو ، 1958 : ص 181) .

وكذا الحال ، فقد كان للعاطفة في الأعمال الأدبية – قبل روسو– نصيبها بوصفها إحدى الصور المشروعة في الحياة ، لكنها ليست أهم ما في الحياة أو على الأقل هي ليست الرائد الوحيد للمرء فيها ، أما بالنسبة لروسو فعلى العكس من ذلك كانت (العاطفة) هي العنصر العامل الوحيد في الروح بل ان قيمة الحياة في نظره مستمدة من مبلغ نصيب تلك العاطفة فيها (روسو ، 2009 : ص 88) . فمعرفة الذات في نظره هي أولى خطوات المعرفة الصحيحة ، حتى انه يحدثنا عن مدى اختلافه عن الفلاسفة بقوله عنهم " إنهم كانوا يدرسون الطبيعة البشرية ليستطيعوا التحدث عنها حديث العلماء ، لا ليتعرفوا على أنفسهم ، وكانوا يعملون لتثقيف الآخرين ، لالقاء ضوء المعرفة على دخيلة أنفسهم ... وأما أنا ، فانني حين كانت تحدوني الرغبة في التعلم ، فقد كنت استهدف معرفة ذاتي ، لا تعليم الناس ، وكنت اؤمن دائماً ان على الانسان أن يبدأ بمعرفة الكثير لذاته قبل أن يعّلم الآخرين "(روسو ، 2009 : ص 115). لذا كانت أكثر المعارف نفعاً وأقلها تقدماً من بينها ، في نظر روسو ، هو ما بدا له على أنه "المعرفة بالذات" (روسو ، 2012 أ ت : ص 51).

وهذا يعني أن على (حب الذات) أن يؤدي –برأي روسو– الى (معرفة الذات) ، وأن الاعتداد بالعاطفة والشعور لا يعنيان بأي حال من الأحوال خمود الفكر ، لا بل أن "الوجدان" طريق الفكر السليم . وليس أدل على ذلك إلا قوله في دين الفطرة " أسمى صورة نكونها عن الخالق ندركها بالعقل وحده . لننصت إلى صوت الوجدان ، أولم يقل لنا الرب ، لبصرنا ، لضميرنا ، لعقلنا ، كل ما أراد ؟ ماذا يمكن الانسان أن يضيف إلى ذلك ؟ " (روسو ، 2012 د ف : ص 89). فالعقل إذا ما أستطاع أن ينقض العقيدة "بالله" ، وأن ينكر الخلود ، فإن الشعور يؤيدهما ، فلماذا لا نصدق الشعور بدلاً من الشك الجامح الذي يؤدي إليه العقل ؟ (روسو ، 2013ع : ص 17) . فكثيراً ما يخدعنا العقل ، ولا بد من الاحتراز منه ، أما الضمير فلا يخدع أبداً ، فهو الدليل الأمني ، ومقامه من النفس مقام الغريزة من الجسد (روسو ، 2012 د ف : ص 69).لأن الضمير "مبدأ يولد مع الانسان ، على ضوئه يحكم الفرد ، ولو صدم ذلك ميوله الشخصية ، على تصرفاته وتصرفات غيره ، فينعتها بالصالحة أو بالفاسدة" (روسو ، 2012 د ف : ص 74) .

من هنا كان تمجيد روسو للحدس ، وللشعور الداخلي (الضمير) ، أو العاطفة ، يفسر الاعراض عن المذهب العقلي الجاف –برأيه– ، والذي لم يكن شائعاً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، كما انه يعطي لهذا التمدد دافعاً قوياً (كوبلستون ، 2010 : ص 122). كذلك " لا يجوز أن يُخلط بين الأنانية وحب البقاء ، أي بين العاطفتين اللتين تختلفان طبيعة ونتيجة ،

فحب البقاء في ذاته شعور طبيعي يدفع كل حيوان الى السهر على بقائه الخاص ويسفر عن الانسانية والفضيلة اذا ما وجهه الانسان بالعقل وعدّل (بالرأفة) ، فأنانية الانسان الطبيعية ، التي يوجهها العقل وتلطفها وتخفف من غلوائها الرأفة أو (الشفقة) تجعله صالحاً وفاضلاً (فولغين ، 2006 : ص212) . ذلك أن الرأفة تتمثل في "الشعور الطبيعي الذي يعدل في كل فرد نشاط حب الذات ، فيساعد على بقاء كل نوع بقاءً متقابلاً ، والرأفة هي التي تحملنا من غير تأمل على مساعدة من نراهم يألمون ، وهي التي تقوم في الحال الطبيعية مقام القوانين والعادات والفضيلة ، وذلك من مزيتها في عدم وجود أحد يحاول عصيان صوتها العذب" (روسو ، 2012 أ ت : ص 51).

فليست الانانية غير شعور نسبي مصنوع ناشئ في المجتمع فيحمل كل فرد على الاكتراث لنفسه أكثر مما لغيرها ويوحي للناس بجميع الشرور التي يصنعونها مقابلة ، ويعد مصدر الشرف الحقيقي" (روسو ، 2012 أ ت : ص 108) ، في حين أن (الرأفة) كشعور طبيعي إنما يوحي الى جميع الناس بمبدأ الصلاح الطبيعي القائل "اصنع خيراً نحو نفسك بأقل شر ممكن نحو الآخرين" بدلاً من المبدأ المتعالي للعدل العقلي القائل "عامل الآخرين بما تريد أن يعاملوك به" والذي هو أقل فائدة من الأول على ما يحتمل وإن كان أكثر منه كمالاً ، والخلاصة : انه يجب أن نبحث في هذا الشعور الطبيعي ، أكثر مما في البراهين الدقيقة (روسو ، 2012 أ ت : ص 51) .

كذلك فإن الاقبال على الطيب والنفور من الخبيث شعوران طبيعيان فينا بقدر ما هو طبيعي حب الذات . ما يصدر عن الضمير ليس استنتاجاً بل شعور ، رغم أن كل أفكارنا تأتينا من الخارج ، فان المشاعر التي تضيف اليها قيمة ما تنبع من أنفسنا ، حينما نميز بها ما بين الأشياء ، نتقبل ما يوافقنا منها ونعرض عن غيرها (روسو ، 2012 د ف : ص 76–77). من هنا كان رأي روسو القائل "أستشير قلبي في كل نازلة : ما أستشعرته خيراً فهو خير وما بدا لي شر فهو شر . أصدق دليل هو الضمير... كم مرة نسمع صوت الضمير يهمس أن الخير الذي نجنيه على حساب الغير شر... الضمير هو صوت الروح والشهوة صوت الجسد" (روسو ، 2012 د ف : ص 68–69) . وهذا يعني أن كلمة (شعور) عند روسو تأتي في بعض الاقتباسات ، كما هو الحال في هذا النص ، بصفتها وعياً مباشراً أو حدساً بالتأكيد ، ولا تعني الشعور بالمعنى الذي تكون فيه عاطفة الشفقة شعوراً ، فعلى الرغم من أن روسو لا ينكر بل يقرر أن العقل والتأمل يلعبان دوراً في تطوير الأخلاق ، فإنه يشدد على (الشعور) . إن ما أشعر به صحيح فهو صحيح ، وما أشعر به على أنه خطأ فهو خطأ ، وبالتالي فإننا لا نلجأ إلى دقة الحجة إلا عندما نساوم الضمير (كوبلستون، 2010 : ص 120)

لذلك يقول روسو في مؤلفه أميل أو التربية : " تقوم الذاكرة بمد الشعور بالإنية إلى جميع لحظات حياته . فيغدو شخصاً واحداً بمعنى الكلمة هو عين ذاته دائماً ، ويكون بالتالي قادراً على الشعور بالسعادة أو الشقاء . ويكون من المحتم أن نعده منذ ذلك الحين كائناً أخلاقياً" (روسو ، 1958 : ص 79) . فالمرء لا يستطيع أن يسمي (سعادة) حالة عابرة تخلفنا والقلب لا يزال قلقاً فارغاً ، فتجعلنا نتحسر على شيء انقضى أو نظل نشتهي هذا الشيء فيما بعد (روسو ، 2009 : ص 150) . ولعل هذا ما دعا روسو إلى القول " لا أروم التفلسف معك بقدر ما أريد حثك على استشارة قلبك . لو أجمع الفلاسفة على تسفيه رأيي وشعرتَ أنتَ في نفسك إني على حق ، فهذه غاية ما أطمح اليه " (روسو ، 2012 د ف : ص 76) . وإذا كان ما تسبب بالعذاب

الوحيد في حياة روسو ، على تعبيره ، هو " تأثير حواسه على قلبه" (روسو ، 2009 : ص184) ، إلا أن ذلك هو ما سيدعونا للتفاؤل باستفتاء القلب في ميدانين انسانيين هما الفن والأخلاق .

المحور الثانيً : جماليات روسو (ما بين الفن والشعور) Aesthetics of Rousseau (between art and feeling)

حصل روسو من خلال مقالته في الفنون والعلوم على الجائزة الأدبية التي ألف المقالة من أجل الحصول عليها ، وبين ليلة وضحاها تقريباً حولته الجبلة التي أحدثتها تلك المقالة من أديب مغمور شارف على منتصف العمر إلى أشهر سوط موجه للحضارة الحديثة (ووكلر ، 2015 : ص19) . ويتضمن هذا المقال قسمين : يتطرق روسو في القسم الأول منه الى أن العلوم والفنون تفسد النفوس والأخلاق مستشهداً في ذلك بالتجربة والتاريخ . أما القسم الثاني ، فيحاول أن يفسر فيه بالاستدلال الأثر السيء للعلوم والفنون .

ومع أنه يفهم من هذين القسمين أن موقف روسو من الفن سلبي ، الا أن ذلك لم يمنع من أن تكون أفكار روسو هي التي لبت حاجات العصر وروحه ، فقد ملّت فرنسا الفكر الكلاسيكي والانضباط الارستقراطي ، فاتاح تمجيد روسو (للوجدان) تحرّر الغرائز المكبوتة والعاطفة المكظومة ، والأفراد والطبقات المظلومة ، حتى وصِف كتابهُ (الاعترافات) بأنه كتاب "الوجدان المقدس" ، فهو لم يرفض العقل –الذي وصفه بأنه هبة إلهية– ولكنه أحسّ أن نوره البارد في حاجة الى دفء القلب ليلهم العمل والعظمة والفضيلة (عثمان : ص 2017 : ص40) . إذ في ذلك يأتي قوله عن وصفه للقرن الثامن عشر " لأكونن واهماً إن لم تصبح الفلسفة وبالاً على الذوق السليم وعلى الفضيلة معاً في هذا القرن الذي يجتهد فيه الناس في أن يعتبروا كل أفعال الروح مادية وفي أن يجردوا المشاعر الأنسانية من كل خلق" (روسو ، بلا ت / أ ل : ص83).

من هنا شكلت أفكار روسو المنبع الرئيس للحركة الرومانسية التي تعني تمرد الوجدان على الفكر ، والغريزة على العقل ، والعاطفة على الحكم والذات على التجمع ، والخيال على الواقع والخرافة والاسطورة على التاريخ ، والحب الرومانسي عل زواج المصلحة ، والطبيعة (والطبيعي) على المدنية والتكلف ، والتعبير العاطفي على الضوابط العرقية ، وباختصار تمرد القرن التاسع عشر على الثامن عشر، فهذه كلها أمواج للمد الرومانتيكي الذي اكتسح أوربا (عثمان ، 2017 : ص39–40) . فبرأي الفيلسوف " إن دراسة الفلسفة ، وتقدم صناعة البرهان بما حسّناه من صناعة النحو قد جرّدا اللغة من تلك النبرة الحارة والعاطفية التي كانت جعلتها –في البداية على قدر من الفتنة " (روسو ، بلا ت / أ ل : ص 92 . وأيضاً ، 2017 : ص 171) .

فلو نظرنا الى معنى الموسيقى – التي كان روسو مُدِرساً لها _ لوجدنا بأن روسو يتفق مع أفلاطون في أن الكلمات والموسيقى ينبغي ألا ينفصلا ، حتى أن وظيفة الالآت كالقيثارة وغيرها هي تعميق النص الكلامي (Rousseau , S Edition : p 229) . كذلك هو ينتقد نمط الغناء في عصره قائلاً " لقد أصبح الغناء رويداً رويداً فنّاً تام الانفصال عن الكلمة التي هو جزء منها . وهكذا أنستنا مصاوتات الصوت انعطافات الصوت ، وهكذا أخيراً وجدت الموسيقى نفسها ، لما كانت

محصورة في المفعول الحسي الصرف لتعاضد الاهتزازات، محرومة مما خلفته من الآثار الأدبية عندما كانت صوت الطبيعة مرتين" (روسو ، بلا ت / أ ل : ص 95 وأيضاً ، 2017 : ص 171،174).

وإذا كان فقد الناس لفن (التأثير) لأنهم اعتنوا بفن (الاقناع) . إلا أن أفلاطون "قد عمد بنفسه، لفرط غيرته من هوميروس ومن أوربيد ، الى ذم هذا ولم يقدر على محاكاة ذلك " (روسو ، 2017 : ص172) إذ أن هنالك " ثمة لغات تساعد على الحرية ، وهي اللغات الرنانة والموزونة والمتناغمة التي يمكن أن نميز ما يقال فيها من بعيد جداً. أما لغاتنا فقد جعلت لطنين الدواوين . ان دعاتنا يعذبون أنفسهم ، ويتصبب العرق منهم سيولاً في المعابد ، من غير أن نعرف شيئاً مما قالوا . وانهم بعد أن ينهكوا أنفسهم صراخاً لمدة ساعة كاملة ، يخرجون من الاريكة أنصاف موتى . وأكيد أن الأمر ما كان يستحق كل هذا العناء! " (روسو ، بلا ت / أ ل : ص 97) ، فبالنسبة إلى الذين يحكمون آخرين وليس لديهم ما يقولونه هم أنفسهم ليس بوسعهم الكثير عندما يجتمعون بالناس غير الصياح فيهم ووعظهم بألفاظ مُغالى فيها وعصية على الفهم (ووكلر ، 2015: ص43) .

ويبدو أن روسو يحلل مضمون الموسيقى تحليلاً ذي أبعاد سيكولوجية لغوياً وعاطفياً ، اذ يعد –على عكس فولتير– أن الموسيقى الايطالية تعبر عن انفعالات الشعب الايطالي ومشاعره ، أما اللغة الفرنسية فهي لغة فكرية جافة ، مما يجعل برأيه الموسيقى الفرنسية تعاني على الدوام صعوبات فنية ناتجة عن طبيعة الصعوبات اللغوية على اعتبار انه ليس في الموسيقى الفرنسية وزن ولا لحن لأن اللغة تفتقر اليهما ، ولذلك كانت اللغة الايطالية هي الأوفر حظاً ، والأكثر تأثيراً من الفرنسية ، في تشكيل الأولى لنمط من الكلمات ذات تأثير صوتي ونغمي ، فالصوت واللهجة القائمان على الكلام هما الأكثر قدرة من الأفكار في تحريك مشاعرنا بحيوية وفعالية (Rousseau , S Edition : p 445) . إذ يشير روسو إلى أن (اللحن) هو أهم ما في الموسيقى ، وعلى حين أن رامو كان يستمد الحانه من التتابعات الهارمونية ، إلا أن روسو أكد على أن الانسجام Harmony لا معنى له بدون اللحن Melody (Rousseau , S Edition : p 192 , 286).

من هنا جاء الرابط القائم مابين أنواع الصوت البشري الثلاثة التي أشار اليها روسو ، أي (صوت الكلام ، وصوت الغناء ، والصوت التعبيري) . فإذا كان النوعين الأولين معروفين ، فإن النوع الثالث هو ما عنى به روسو التعبير المرافق لأي من النوعين الأول والثاني ، فهو الأسلوب الذي يتحدث به الشخص تبعاً لعواطفه وحالته النفسية ، لذا فإن الطفل لا يمكنه استخدام الأنواع الثلاثة في وقت واحد ، فنجد كلام الطفل يخلو من التعبير، إذ لا تزال عواطفه غير نشطة . لذا أكد روسو على ضرورة التركيز على الأغاني التي تعكس اهتمام الطفل ، وعلى الغناء الموسيقي دون استخدام الكلمة ، مع مراعاة عدم اعطاء الطفل أدواراً غنائية أو تمثيلية ، لحاجة هذه الأنماط ابراز العاطفة بشكل أساسي (نجيب وآخران ، 2018 : ص ص 215 ، 223) .

فقد كان روسو شأنه في ذلك شأن معظم فلاسفة العصور القديمة والوسطى وعهد الصلاح الديني ، يزدري الموسيقيين الذين يكتبون موسيقى بلا كلمات . فموسيقى الالآت تحتل في مذهبه الجمالي مكانة ثانوية ، ذلك أن "الصوت الذي ينبثق من حروف الكلمات مختلف تماماً عن الذي يتشّكل في اللحن" (Rousseau , S Edition : P 251). فاذا لم تكن الموسيقى قادرة على التصوير الا باللحن ، ومنه تستمد كل قوتها ، فإنه يترتب على ذلك ان كل موسيقى غير غنائية مهما كان من توافقها ليست الا

موسيقى من النوع المحاكي ، ولا تستطيع بهارمونيتها الجميلة أن تؤثر في النفس أو تصور شيئاً ، وسرعان ما تترك الأذن والقلب جامداً لا يتأثر (بورتنوى ، 2004 : ص 208) .

ولذلك " فإن لغة ليست لها إلا المقاطع والتصويتات لا تمتلك إلا نصف ثروتها . صحيح إنها تؤدي أفكاراً . ولكنها إذا ما أرادت أن تؤدي مشاعراً أو صوراً احتاجت مع ذلك إلى ايقاع وأصوات أي إلى نغم. هذا ما كان متوفراً في اللغة اليونانية وما يعوز لغتنا"(روسو ، بلا ت / أ ل : ص 73) . ولذات السبب أيضاً كانت الموسيقى في إيطاليا برأي روسو " لا تكاد تتكلف شيئاً يذكر ، ومن ثم فإن حرمان النفس منها –اذا كان لدى المرء ميل اليها– لا يكاد يستحق العناء الذي يبذل في سبيل ذلك" (روسو ، 2013: ص 232) . وبما أن الطبيعة التي تحددها اللغة في كل أمة هي ما تكون لكنتها النحوية من اللفظ في التعبير عن المعاني والمشاعر على حد سواء (Rousseau , S Edition :P 5) ، فلا عجب إذن في أن يُفّضل الفرنسيون أنفسهم الموسيقى الايطالية المصاحبة لكلمات من لغتها الأم! (Rousseau , S Edition : P 429).

ولأن الفكرة الأساس التي يركز عليها روسو في الفنون بعامة هي (الشعور) بالأنا والآخر، لذا فإن المعاناة الداخلية لما يؤلف جوهر الانسان ، وما يعطيها روسو من شأن ، يؤدي من جهة إلى صور جديدة للتعبير في مجال الفن ، ومن جهة أخرى إلى شعور جديد للانسان بذاته أزاء المجتمع (غروتويزن ،1982 : ص 120). ومن هنا قام روسو بدور مزدوج ، هو دور (فيلسوف عصر التنوير) الذي يدعو الى العودة الى الطبيعة بوصفها شفاء من كل الشرور الاجتماعية ، ودور (الموسيقي) الذي وضع مذهباً جمالياً عقلياً في الموسيقى ، مبنياً على مبادئ ميتافيزيقية . ولم يكن يجد غضاضة في اصدار أحكام قطعية ، سواء بوصفه فيلسوفاً أم بوصفه موسيقياً (بورتنوى ، 2004 : ص 208). "فعندما كانت الموسيقى تمنح للشعر على العواطف سلطاناً لم تعد الكلمة من بعد ذلك تمارسه الا على العقل . لذلك فما كادت اليونان تمتلئ سفاسطة وفلاسفة حتى غاب عن الأنظار الشعراء والموسيقيون العظام (روسو ، 2017 : ص 172) . فكان لروسو بذلك تأكيداً واضحاً لأهمية الأحاسيس تمّثل كذلك في قوله " إن الروائح الشذية والألوان الزاهية والصور البالغة الرشاقة تبدو وكأنما تتنازع حق استرعاء انتباهنا . وما علينا إلا أن نحب المتعة كي نستسلم إلى أحاسيس بهذه الدرجة من الحلاوة ولو أن هذا الأثر لم يبد على كل من صادفتهم تلك المتعة فإن ذلك يرجع لدى البعض إلى انعدام الحساسية الطبيعية ، وهو لدى الأغلبية يرجع إلى أذهانهم وقد شغلت بافكار أخرى لم تعد تنصرف إلا خلسةً إلى الأمور التي تصك حواسهم" (روسو ، 2009 : ص166) .

فالطبيعة التي تستغرق روسو هي الطبيعة الكبرى التي لم يفسدها الانسان بتعديله وتنظيمه كشواطئ بحيرة بيين Bienne والحدائق الانجليزية المنظمة (روسو ، 2009 : ص90) . وإذا ما انتقلنا الى حب الفيلسوف لجمال الطبيعة للاحظنا في كتبه جملة من الأوصاف التي أبدع فيها رغم عزلته ، فمثلاً يقول في أحلام يقظة جوال : " في عزلتي كانت عنجهية عزة النفس وصخب الناس تطفئ في ناظري نضارة الأعراش وتزعج أمن الانعزال . ومهما كنت أوغل هارباً في أعماق الغابة كانت تلاحقني حيثما ذهبت جماعة ثقيلة فتحجب عني الطبيعة جميعاً . ولم يحدث انني عدت فوجدتها بكل مفاتنها الا بعد أن تخلصت من العواطف الاجتماعية ومن موكبها التعيس" (روسو ، 2009 : ص 185) ، ويقول أيضاً "يا أيتها الزهور المتلألئة .. يا زينة المراعي ، ايتها الظلال الرطبة والجداول والاعراش والخضرة ، تقدمن لتطهير خيالي الملوث بكل هذه الأمور الكريهة! ،إن روحي

اذ تقضي أمام كل الأحداث الكبار لم تعد تتأثر إلا بالمحسوسات. إنه لم تبقى لي إلا أحاسيس ، ولم يعد الألم واللذة في هذه الدنيا يستطيعان أن ينالان مني" (روسو ، 2009 : ص 171) . فلنقاتل إذن من أجل تقليد هذه الطبيعة ، قصر جميل ، حدائق مزدانة ، وإذا كان ذاك التقليد هو الأكثر صعوبة ، إلا أنه في ذات الوقت هو الأكثر مقبولية من تقليدنا لكائنات خيالية (Rousseau , S Edition :P P 294 , 297).

ولا عجب في أن نجد روسو مؤكداً على أنه قضى ثلاثة أرباع حياته إما مشغولاً بأمور ثقافية، أو في صحبة بنات خياله التي خلقها وفق رغبة قلبه ، والتي يغّذي اتصاله بها مشاعره ، أو مع نفسه فقط راضياً عن ذاته ليفعم بهناء أحسّ بأنه يستحقه . فقد كان حبهُ لذاتهِ في كل هذه الأمور جميعاً يقوم بكل المهمة ، أما عزة النفس فلم يكن لها دخل في ذلك (روسو ، 2009 : ص 183-184) .

وهنا لا بد من الاشارة إلى دور الخيال في تنمية الشعور بالجمال عند روسو ، فالخيال لدى روسو يساند الاحساس ويذكيه ، كذلك يُسّلمه إلى أحلام يحّلق فيها مع (كائنات من خلقهِ) وفي عالم خاص به لأنه من صنعه ، عالم يسعد به وينسيه شرور الحياة الدنيا . وفي ذلك يقول " إن الخيال بتدعيمه للحس ، يوّحد ما بيني وبين المُعذَّب من الناس ويسبب لي غالباً رعباً أشد مما يحس بها هو نفسه" (روسو ، 2009 : ص 196) . فإذا كانت الحكمة الطبيعية توضح من بعض الوجوه نظام الحواس وتكوين الأفكار ، ولكنه برأي روسو ، لا يوجد في قوة الارادة أو –قدرة الاختيار– ، ولا يوجد في الشعور بهذه القدرة غير أفعال روحية خالصة لا يمكن أن يفسر منها شيء بقوانين الميكانيك (روسو ، 2012 أ ت : ص 39) .

ولذلك كانت أعمال روسو الأدبية جميعاً محورها الخيال والمثالية ، فقد كان روسو شاعراً ، وما هو الشعر إن لم يكن احساساً دافقاً وخيالاً متقداً رحيباً ؟ كان شاعراً في عصر أحلّ الفكرة المنطقية الجافة محل انتفاضات العاطفة والقلب (روسو ، 2009 : ص 89) ، أما على من يريد التفلسف في قوة الاحساسات برأي روسو فعليه أولاً أن " يبدأ بأن يفصل عن الانطباعات الحسية الصرفة الانطباعات العقلية الأدبية التي ترد علينا بطريق الحواس التي لا تكون إلا أسبابها العارضة. وليتحاشى الوقوع في الخطأ المتمثل في أن يسند للأشياء الحسية سلطاناً ليس لها أو سلطاناً قد ورد عليها مما تمثله لنا من إنفعالات النفس" (روسو ، 2012 أ ت : ص 82-83) .

لذا كان ما بين الفكر والعاطفة ثمة حلقة تنقل روسو الى عالم من الخيال ، انها على حد تعبيره (أحلام اليقظة) ، إذ يقول في ذلك " إن أحلام اليقظة تريحني وتسري عني ، وأما إمعان الفكر فيجهدني ويحزنني . إن التفكير كان بالنسبة لي على الدوام شاغلاً شاقاً لا سحر فيه . وقد تنتهي أحلام اليقظة أحياناً بالتأمل ، ولكن تأملاتي في أغلب الأمر تنتهي بحلم يقظة . وخلال هذا الشرود تهيم روحي وتسبح في العالم على أجنحة الخيال في نشوات تفوق كل متعة أخرى" (روسو ، 2009 : ص 165). نعم ، فالعادة في جميع الأمور تقتل المخيلة . ولا شيء يثير المخيلة إلا ما هو خارج عن المألوف ، على اعتبار أن الأشياء التي نراها كل يوم لا تختص بالمخيلة ، بل بالذاكرة. ولهذا يقال (أن العادة عدو العاطفة) ، وإنه متى ما الفنا شيئاً هبطت قيمته العاطفية لدينا لخروجه من دائرة المخيلة . والمخيلة هي التي توقد بنيرانها جذوة العواطف " فلا تحاول إذن أن تناقش بالمنطق من تريد شفاءه من رعب الظلام . بل عوّده عملياً السير فيه" (روسو ، 1958 : ص 137-138) .

المحور الثالث : أخلاقيات الشعور (ما بين حب الذات والحالة الطبيعة) Ethics of feeling (between self-love and nature)

إن حقيقة ما يصفه لنا روسو من طبيعة إنسانية ، إنما ينم عن شعوره ودرايته للأخلاق التي رآها في فرنسا سواء في دنيا الفلاسفة أو في المجتمع . وتندرج في أخلاق العاطفة ما دعا إليه روسو خصوصاً في كتابه أصل التفاوت 1755 ، وكتابه اميل / التربية 1762 . فضلاً عن مقالاته في العلوم والفنون ، كذلك جاء كتابه جولي / هلويز الجديد 1761 بمزيج من الرواية الرومانسية والعمل الذي ينتقد بشدة زيف المبادئ الأخلاقية التي رآها روسو في مجتمعه . لذلك سيكون من الملاحظ على بيان صلة (المبدأ الأخلاقي بالشعور) وجود أبعاد اجتماعية وسياسية وتربوية وسيكولوجية اتفقت عليها آراء روسو في تناص صريح لا يقبل الشك .

يقول روسو في كتابه (أصل التفاوت) : " يبدو لي أن معرفة الإنسان هي أنفع جميع المعارف البشرية وأقلّها تقدماً ، وأجرؤ على القول بأن الكتابة الوحيدة على معبد دلف كانت تشمل على حُكمٍ أهم وأصعب من جميع كتب علماء الأخلاق الضخمة " (روسو ، 2012 أ ت : ص 23). إذ يتصور روسو في هذا الكتاب وجود نوعين للتفاوت في الجنس البشري ، فالنوع الأول هو ما يدعوه (الطبيعي أو الفيزياوي) لأنه من وضع الطبيعة ، ويقوم على اختلاف الأعمار والصحة وقوى البدن وصفات النفس أو الروح ، والنوع الثاني هو ما يدعوه (بالتفاوت الأدبي والسياسي) لتوقفهن على ضرب من العهد ولقيامه ، وبتأليف هذا النوع برأيه من مختلف الامتيازات التي يتمتع بها بعضهم اجحافاً بالآخرين كأن يكون أكثر ثراءً أو اكراماً أو قوة ، أو أن يكون في وضع ينتزع فيه الطاعة (روسو ، 2012 أ ت : ص 29) .

وروسو يؤكد أن البشر في الحالة الأولى – أي الطبيعة – لم يكن بينهم أي علاقات أخلاقية كائناً ما كان من نوعها ، ولا أي واجبات جرى عليها العُرف ، وليس ممكناً أن يكونوا أخياراً أو أشراراً ولم تكن لهم فضائل ولا رذائل . فالإنسان في حالة الطبيعة كان هانئاً سعيداً ، وكانت حاجاته قليلة محدودة وارضائه سهلاً يسيراً ، وكان كل إنسان مساوياً الآخر وأول يقظة للحس الأخلاقي ، إنما ظهرت بتأثير عاطفة فطرية لدى الانسان هي عاطفة الشفقة والرحمة (مبروك ، بلا ت : ص 730) . بدليل إنه يشير في بيان الفرق مابين هذين النوعين – أي الطبيعي والأدبي – بقوله " قبل أن يُهّذب الفن سلوكنا وأن يعِّلم أهوائنا التعبير بلغة متصَّنعة ، كانت أخلاقنا خشنة ، ولكنها كانت طبيعية ، وكان اختلاف الطرائق يشير مباشرة إلى اختلاف الطبائع" (روسو ، 2017 : ص 21). لذلك أجاب روسو عن النقد الموجه اليه في "مقالاته عن العلوم والفنون" ، بأنه لم يرد الرجوع بالناس إلى الوراء وإنما أراد العود إلى الفضائل ، والابتعاد عن الترف والرذائل وسيادة المساواة بين الأنام (روسو ، 2013ع : ص 13) . إذ لا يمكن التفكير في الأخلاق دون تذّكر العصور الأولى وبساطتها ، إنها على حد وصفه "ضفة جميلة مزدانة بأصابع الطبيعة وحدها ، نجيل إليها نظرنا باستمرار وندرك ابتعادنا عنها على مضض" (روسو ، 2017 : ص 36) . وهذا ما يفسر لنا مراحل تاريخ الانسانية ، والذي يرده روسو إلى أدوار ثلاثة :

1. حال الطبيعة .

2. الحالة الاجتماعية أو حال الفساد التي يعبر عنها روسو باستعباد العاطفة للعقل .
3. الحال السياسية والخلقية أو التجديد ، أي اعادة النظام الطبيعي إلى الأحوال الثابتة الناجعة التي تعقب السقوط ، والسقوط هنا هو " اتباع العقل للعاطفة " التي لا تعود غريزة ، بل تصبح ما يسمى بالقلب (لوبون ، 2013 : ص 133) .

وفي ميدان التربية ، يستدرك روسو الكثير من مظاهر التداخل ما بين المبدأ الأخلاقي والتكوين الأولي لحيثيات الشعور ، مركزاً في ذلك على أهمية التنشئة الصحيحة للإنسان منذ الصغر . فنراه يحاذر أن يكون "اميل" متعجرفاً أشد من محاذرته أن يغدو فظاً في أسلوب كلامه ، إذ ليس المهم في نظره هو لفظ الطلب ، بل الشعور الذي يصاحب اللفظ ، إذ هناك دائماً حد وسط بين الافراط والتفريط ، فهو يرفض التطّرف في التشّدد كما يرفض التطّرف في التهاون (روسو ، 1958 : ص 86) .

إن الضعف إذا اقترن بالتسلط لا يلدان في نظر روسو إلا الجنون والشقاء " فالطفل المُدّلل الذي يضرب المائدة انتقاماً منها ، ويجلد الحائط ، لن يستريح في كِبره إلا إذا استمتع بكفايته في ضرب الناس أو جلدهم " (روسو ، 1958 : ص 89) . في حين ينبغي علينا أن نحرص على " أن يتعلم الأطفال ما يجب عمله في سن الكهولة ، لا ما يجب نسيانه " (روسو ، 2017 : ص 38) . هنا يبدي روسو تأملات صائبة عن التربية السيئة والخطرة التي يتلقاها الأطفال في المدارس ، حيث نعلمهم الشعر والمجادلة واستعمال الحجج الباطلة ، ولا نعني بتعريفهم الشهامة ، والزهد ، والشجاعة ، والانسانية ، والعدالة ، تربية سخيفة ودراسة مشئومة تؤدي إلى تفاوت الأقدار الناشئ من التفرقة بين المواد دون اعتبار للفضائل (المستكاوي ، 1989 : ص 130) .لأن الطفل الذي يشعر بالغيظ والحقد ، وبشهوات لا ترتوى لا يمكن بأي حال أن يكون سعيداً في النهاية (روسو ، 1958 : ص 88) . وأن الوصية الوحيدة التي تناسب الأطفال من كل الوجوه هي " ألا يسيئوا إلى أحد " ، فالذين لا يسيئون إلى أحد هم وحدهم الفُضلاء بمعنى الكلمة (روسو ، 1958 : ص 112) . في حين أننا نجد " منذ نعومة أظفارنا تعمل تربية حمقاء على تجميل فكرنا وافساد حُكمنا ... ومنشآت ضخمة تتم فيها تربية الناشئة بنفقات باهضة من أجل تلقينها كل شيء ما عدا واجباتها " (روسو ، 2017 : ص 38) .

وهنا يتبادر إلى أذهاننا تساؤل ، هل الشر متأصل في جذور التربية غير الصحيحة ، أم في النزعة البشرية ذاتها ؟ .

يقول روسو " أكثر ما يكون خطراً هو أن تكون البلايا العامة مدار أمل جمع من الأفراد وموضوع رجائهم ، فبعضهم يريد مراضاً ، وآخرون يريدون فناءً ، وآخرون يريدون حرباً ، وآخرون يريدون مجاعة ، وقد رأيت أُناساً قِباحاً يبكون ألماً مع طلائع سنة خصيبة... ومن المحتمل إنك لا تجد رجلاً موّسراً لا يتمنى موته سراً ورثته الطامعون ، وأولاده في الغالب ، وانك لا تجد سفينة يكون غرقها في البحر حادثاً ساراً عند بعض التجار ... ولا تجد شعباً لا يُسّر بمصائب جيرانه ، وهكذا فإننا نجد فائدتنا في ضرر أمثالنا فخسران أحدهم يوجب غبطة الآخر دائماً تقريباً " (روسو ، 2012 أ ت : ص 91) . وهذا إنما يشير إلى أن الشر مكّون من طرفين ، الأول هو عدم حب الانسان الخير للآخرين ، والثاني النزعة الأنانية التي نشأ عليها الفرد متأصلاً في تربيته . فحب الذات ، هو انفعال لا يكترث بالخير والشر، ولا يصبح خيراً أو شراً إلا بالمصادفة ووفقاً للظروف التي يتطور فيها (كوبلستون ، 2010 : ص 117).

فهل يمكن أن ننكر أن الأخلاق الحسنة ضرورية لبقاء الدول العظمى ، وأن الترف – الذي هو زينة الدول – مناقض تماماً للأخلاق الحميدة ، في حين يقول روسو عن رجالات السياسة الذين نصبوا أنفسهم مدافعين عن المعدمين! (فولغين ، 2006 : ص 247). " ما فتئَ رجالات السياسة يتحدثون في القديم عن الأخلاق والفضيلة ، أما رجالاتنا نحن فلا يتحدثون إلا عن التجارة والمال !" (روسو ، 2017 : ص 33) . فلا عجب أنه كلما كانت مرافق الحياة تتزايد ، والترف يمدّ أزره ، كانت الشجاعة الحقة تتضائل ، والفضائل العسكرية تندثر(روسو ، 2017 : ص 36) . وهذا يعني أن تحصيل العلوم الذي يضر بالمزايا الحربية يضر أيضاً بل أكثر بالمزايا الخلقية ." ولو كانت العلوم تُهّذب الأخلاق ، وتحض الناس على التضحية بدمائهم في سبيل الوطن، لو كانت تؤجج الشعور بالشجاعة لكانت شعوب الصين شعوباً حكيمة حرة لا تُهزم "(روسو ، 2017 : ص 24) . لكنه يبدو أن من عُهد إليهم أن يسهروا عليه ، كانو أكثر الناس غرضاً فيه! (روسو ، 2012 أ ت : ص 74) .

ولذلك نجد أن روسو قد ذهب إلى كون الثقافة أقرب إلى الشر منها إلى الخير ، وكون التفكير مناقضاً لطبيعة الانسان ، وكون الفضيلة والأمانة والصدق لا أثر لها في غير (الحال الطبيعية) ، حيث لا علوم ولا فنون(روسو ، 2013ع : ص 13) . " فيا شعوب ، اعلمي مرة واحدة أن الطبيعة أرادت أن تحفظكم من العلم كالأم التي تفتك من يدي ابنها سلاحاً خطيراً ، وإن كل ما تخفيه من الأسرار إنما هي شرور تصونكم منها ، وأن المشقة التي تجدونها في طلب العلم ليست من أقل حسناتها ، إن الناس ضالون ، فإن ولدوا لسوء حظهم علماء ، لكانوا أكثر ضلالاً " (روسو ، 2017 : ص 30). وهكذا فالناس الفاسقين " ينهمكون في الملاذ التي توقعهم في الحمى والموت ، وذلك لأن النفس تفسد الحواس ، ولأن الارادة تتكلم حينما تسكت الطبيعة " (روسو ، 2012 أ ت : ص 39) . فالشر إذا كان من جبلة البشر لا ينفك عنه إلا بفساد خلقه ، " وإن كان القصد من وجود الإنسان أن يُلحق الضرر بأخيه الإنسان ، كالذئب المجبول على عض فريسته ، عندها يعود الانسان الشفيق ، كالذئب الحنين ، حيوان مشّوه مُنحرف ، وتكون الفضيلة هي التي تستوجب الندم "(روسو ، 2012 د ف : ص 70). فيا ترى هل ثمة تنافر بين العلم والفضيلة ، أم أن النزاهة أضحت من خصال بنات أفكار الجهل ؟.

لقد رأى روسو في عزلة الأشرار حلاً لا يماثله حل ، وهو يرى في اللحظة التي يفلت فيها من موكب الأشرار لحظة يتذوق فيها متعة داخلية قوية كما لو كان أسعد الناس طراً (روسو ، 2009 : ص 185) . ولذلك يقول " لو أنني ظللتُ حُراً ، منسياً ، مُنعزلاً – كما خُلقت لأكون – لما فعلتُ إلا خيراً ، ذلك لأنه ليست بقلبي نواة لأي ميل للأذى ... إن القوة والحرية هما اللتان تخلقان الرجال الممتازين ، أما الضعف والعبودية فلم يخلقا إلا أشراراً "(روسو ، 2009 : ص 160). فالرجل الطيب هو الرجل العادل الذي " ينعم بالطمأنينة والرضى على نفسه إن ضحك فليس عن غل بل غبطة كامنة في ذاته . أكان بين الأصحاب أو على انفراد فهو مُبتهج على الدوام لا ينتظر النشوة ممن يحيطون به ، بل هو الذي يجود بها عليهم " (روسو ، 2012 د ف : ص 73) . لكننا في النهاية ، ومهما كنا نتحدث إلى قلوب سيئة ،علينا أن لا ننسى بأننا نمثل لأنفسنا أشخاص رائعين (Rousseau , S Edition :P 297).

الاستنتاجات :

1-تميّز روسو بأسلوب لافت في الكتابة ، وكان للاعتداد بنفسه الأثر البالغ في أغلب مؤلفاته ، إذ يعد هو من الفلاسفة القلائل الذين يمكن التعّرف على طبيعة شخصيتهم وخلجاتهم العاطفية والنفسية من خلال أشهر كتاباتهم الفلسفية . من هنا كانت لروسو فلسفته الخاصة به وحده ، فهي فلسفة القلب ، إن صح التعبير، لأنها صادرة عن معاناته الشخصية وهواجس قلبه ، سواء كان ذلك في عزلته أو حياته الاجتماعية . فكان من شأن " اعترافاته " أن قدمت نمطاً من السير الذاتية التي تحوي أسراراً شخصية.

2- بقدر ما كان روسو هو الذي قد اختار لنفسه العزلة بقدر ما أشار هو الى أن هذا الشعور جاء نتيجة لمشاعره وحياته الشخصية مما رأى في صفات الشر من صنيعة البشر . لذلك جاءت رغبته في الوحدة والعزلة متلازمة مع عداوته للترف والمدنية ونظام الطبقات ، فذلك الشر لم يكن من بين خصال حياة الطبيعة الأولى . لذا جاءت نظرة روسو الى الحضارة متشائمة ، لترتسم نظرته تلك في صورة خيال رومانسي وحتمية بايولوجية تضّمنت الحنين إلى الماضي .

3- الانسان في نظر روسو (يشعر قبل أن يفكر) ، فالشعور سابق لا محالة على الفكر ، لذا كانت العاطفة هي العنصر العامل الوحيد في الروح ، بل إن قيمة الحياة في ذاتها مستمدة من مبلغ نصيب تلك العاطفة فيها . من هنا كان الاعجاب الرومانتيكي الشديد بالحدس والحساسية والشعور يدين لروسو كثيراً . فهو في نظر الكثير من الشراح والباحثين من دعاة ثورة رومانتيكية في المجال الفكري .

4- إن التربية والأخلاق عند روسو لا تنفصم عرى مظاهرها عن التكوينات الشعورية في صميم الطبيعة الانسانية . ذلك أن الخير لا الشر هو ما ينبغي أن يتأصل في الميول والنزعات البشرية، وبذلك جائت كتاباته في "أصل التفاوت" و"أميل" مندرجتان في أخلاق العاطفة .

5- لقد قدم روسو في "أصل التفاوت" و "مقالة في العلوم والفنون" و "الاعترافات" و " أحلام يقظة جوال منفرد" ، وكتابه في الموسيقى روائع من الأدب الوصفي التصويري البارع ، وذلك لما حملتها هذه المؤلفات من أوصاف وجدانية فنية مفعمة بالشعور والعاطفة فهو بقدر ما كان مزدرياً للموسيقيين الذين يكتبون موسيقى بلا كلمات ، بقدر ما أكد على أهمية اللحن والنغم في القدرة على الوصف والتعبير .

6- لذا ، فإن الحملة التي شنها روسو على موسيقى بلاده تحمل في طياتها إن الفنون القومية كالأوبرا لا تنفصل عن لغة الأمة ، وهي نفس الفكرة التي طبقها "فاجنر" فيما بعد عندما مجدّ في أوبراته الأساطير الألمانية من أجل احياء حضارة الأمة الألمانية . وهذا بحد ذاته (بعد سياسي للشعور بالانتماء الأخلاقي) كان روسو قد ركز عليه في بعض كتاباته .

7- لقد لفت روسو الأنظار أيضاً إلى أهمية الطبيعة في الوصف الجمالي ، إذ لم يكن للطبيعة في الأدب الفرنسي من قبل تلك المكانة الكبيرة ، ذلك أن الأدب الفرنسي بعامة هو أدب قوم يعيشون في المدن ، أي انهم كانوا يفضلون متع المجتمع على مفاتن الطبيعة .

8- لعب الخيال دوراً مهماً في التعبير الجمالي والأدبي لنصوص وافرة من كتب روسو ، فقد اعتمد في خطاباته الى حد كبير على الصور ، والأوصاف الأخاذة الرائعة ، مصحوبة بقدر كبير من رحابة الأفق الانساني ، ودقة الاحساس بنواحي الحياة المختلفة والجمع بين (العاطفة المشبوبة) (والفكر الحر) .

9- إن تمجيد روسو للحدس وللشعور الداخلي (الضمير) ، والعاطفة يفسر اعراضه عن المذهب العقلي . إذ أن ما يصدر عن الضمير ليس استنتاجاً بل شعور ، وهذا ما يفسر سر اعتقاد روسو في مدى واقعية استفتاء القلب . فما بدا لي بأنه خير فهو خير ، وما بدا لي بأنه شر فهو شر (ما دام الضمير هو أصدق دليل) . وهذا ما يشير إلى أن فلسفة روسو في مبدأ الشعور ترجح كفة الذاتية في صميم الخبرة الانسانية .

10- وأخيراً فإن أفضلية مفهوم الشعور على العقل عند روسو لم يكن اهمالاً لأهمية الفكر وقدراته المعرفية ، فهو أراد التأكيد على استفتاء الاحساس والضمير في الحكم على الموضوعات ، فمن منظور معين "الأفكار عواطف كما أن العواطف أفكار" . ينطبق الأسمان على أي محسوس يشغلنا بالموضوع الخارجي وبالنفس المتأثرة به ، فإن انشغلنا أولاً بالموضوع قبل أن ننتبه للنفس بعد تأمل ، فهذه فكرة ، وإن انتبهنا أولاً لتأثرنا بالواقع ولن نعِ بهذا الواقع إلا بعد حين ، فتلك عاطفة. وذلك بدوره كان بمثابة مفتاح المبدأ الأخلاقي في فلسفة روسو ، ليكون موضوع الأخلاق قائماً على مبدأ الشعور ، حاله في ذلك كحال ميدان الجماليات والفنون .

قائمة بأسماء المصادر والمراجع والدوريات

أولاً : المصادر

1- روسو ، جان جاك / أحلام يقظة جوال منفرد ، ترجمة: ثريا توفيق ، مراجعة: صالح جودت ، المركز القومي للترجمة – القاهرة ، بلا ط ، 2009 .

2- = ، = / إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد ، ترجمة: نظمي لوقا ، تقديم: أحمد زكي محمد ، الشركة العربية للطباعة والنشر –القاهرة ، بلا ط ، 1958 .

3- = ، = / أصل التفاوت بين الناس ، ترجمة : عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، بلا ط ، 2012 .

4- = ، = / اعترافات جان جاك روسو ، ترجمة: حلمي مراد ، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع –دمشق–بيروت ،بلا ط ، 2013 .

5- = ، = / دين الفطرة أو عقيدة القس من جبل سافو، ترجمة: عبدالله العروي ، المركز الثقافي العربي –المغرب ، ط 1 ، 2012 .

6- = ، = / العقد الاجتماعي ، ترجمة: عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة– مصر ، بلا ط ، 2013 .

7- = ، = / محاولة في أصل اللغات ، ترجمة: محمد محجوب ، تقديم: عبد السلام المسدي ، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية–بغداد ، الدار التونسية للنشر ، بلا ط ، بلا ت .

8- = ، = / مقالات في العلوم والفنون – في الاقتصاد السياسي – في أصل اللغات ، ترجمة ومراجعة: جلال الدين سعيد و محمد محجوب ، مؤمنون بلا حدود –المغرب ، معهد تونس للترجمة ، ط 2 ، 2017 .

9- Rousseau , J ,J \ Complete Dictionary of Music , translated by : William Waring , London , printed for J. Murry , luck white , mdcclxxix , second edition .

ثانياً : المراجع

1- بورتنوري ، جوليوس / الفيلسوف وفن الموسيقى ، ترجمة: فؤاد زكريا ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الاسكندرية ، ط 1 ، 2004 .

2- ديورانت ، ول وايريل / قصة الحضارة –روسو والثورة– ، ج 1 م 10 ، ترجمة: فؤاد اندراوس ، مراجعة. علي أدهم ، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت ، جامعة الدول العربية –المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بلا ط ، 1967 .

3- عثمان ، نغم عاصم / الرومانسية (بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية) ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العتبةالعباسية المقدسة ط 1 ، 2017 .

4- غروتويزن ، برنار / فلسفة الثورة الفرنسية ، ترجمة : عيسى عصفور، منشورات بحر المتوسط _منشورات عويدات بيروت – باريس ، ط 1 ، 1982 .

5- فولغين ، ف / فلسفة الأنوار ، ترجمة : هنرييت عبودي ، مراجعة. جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت ، ط 1 ، 2006 .

6- لوبون ، غوستاف / حياة الحقائق ، ترجمة : عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة ، بلا ط ، 2013 .

7- كوبلستون ، فردريك / تاريخ الفلسفة ، م 6 ، ترجمة: حبيب شاروني – محمود سيد أحمد ، مراجعة وتقديم: امام عبد الفتاح امام ، المركز القومي للترجمة –مصر ، ط 1 ، 2010 .

8- نجيب المستكاوي : روسو ، نجيب / جان جاك روسو حياته ومؤلفاته وغرامياته ، دار الشروق– القاهرة ، ط 1 ، 1989 .

9- ووكلر ، روبرت / روسو مقالة قصيرة جداً ، ترجمة: أحمد محمد الروبي ، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة –القاهرة ، ط 1 ، 2015.

ثالثاً : المجلات والدوريات

1. حداد ، رامي نجيب و اياد عبد الحفيظ محمد ، **و** عز أحمد ماضي **/** فلسفة التربية الموسيقية عند كل من جان جاك روسو وجون بستالوزي "دراسة مقارنة" ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس– الأردن ، المجلد 16 ، العدد 3 ، 2018 .

2- عبد الحليم ، أمل مبروك / مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة ، مجلة كلية الآداب ، العدد 100 ، بلا ت .

3- القدرة ، عبد العال حسن / تأثير جان جاك روسو على فرح انطون – دراسة مقارنة ، مجلة الجامعة الاسلامية ، م 10 ، العدد 1 ، 2002 .

List of sources, references and researches

First: the sources

1- Rousseau, Jean-Jacques / Reverios of Solitary Walker, translated by: Soraya Tawfiq, Revision by: Saleh Jawdat, National Center for Translation - Cairo, without ed , 2009.

2 - =, = / Emile or Raising a child from birth to adulthood, translated by: Nazmi Luka, Presented by: Ahmed Zaki Muhammad, The Arab Company for Printing and Publishing - Cairo, without ed, 1958.

3- =, = / The origin of the Unevenness between people, translated by: Adel Zuaiter, Hindawi Foundation for Education and Culture, Egypt, without ed, 2012.

4- =, = / Confessions of Jean-Jacques Rousseau, translated by: Helmy Mourad, Dar Al-Bashir for Printing, Publishing and Distribution - Damascus-Beirut, without ed, 2013.

5 - =, = / Instinctive religion or the doctrine of the priest from Mount Savo, translated by: Abdullah Alaroui, Arab Cultural Center - Morocco, Edition 1, 2012.

6 - =, = / The Social Contract, translated by: Adel Zuaiter, Hindawi Foundation for Education and Culture - Egypt, without ed, 2013.

7 - =, = / An attempt in the origin of languages, translated by: Muhammad Mahjoub, presented by: Abd al-Salam al-Masdi, House of General Cultural Affairs, Arab Prospects - Baghdad, Tunisian Publishing House, without ed, without da.

8- =, = / Articles in Sciences and Arts - On Political Economy - On the Origin of Languages, Translation and Revision: Jalaluddin Said and Mohamed Mahjoub, Muminon bla hidod - Morocco, Tunis Institute for Translation, 2nd Edition, 2017.

9- Rousseau, J, J \ Complete Dictionary of Music, translated by: William Waring, London, printed for J. Murry, luck white, mdcclxxix, second edition , without da.

Second: References

1- Portnouri, Julius / The Philosopher and the Art of Music, translated by: Fouad Zakaria, Dar Al-Wafaa for the World of Printing and Publishing - Alexandria, 1st Edition, 2004.

2- Durant, Will Wirel / The Story of Civilization - Russo and the Revolution - vol. 1 AD 10, translated by: Fouad Andrews, Revision. Ali Adham, Dar Al-Jeel for Printing, Publishing and Distribution - Beirut, the League of Arab States - The Arab Organization for Education, Culture and Science, without ed, 1967.

3- Uthman, Nagham Asim / The Romantic (Research on the term, its history and its intellectual doctrines), the Islamic Center for Strategic Studies, the Abbasid Holy Shrine, 1st Edition, 2017.

4- Grotwiezen, Bernard / Philosophy of the French Revolution, translated by: Issa Asfour, Mediterranean Publications - Awaidat Publications Beirut - Paris, 1st Edition, 1982.

5- Fulgen, F / Enlightenment Philosophy, translated by Henriette Abboudi, review. George Tarabishi, Dar Al-Taligha for Printing and Publishing - Beirut, 1st Edition, 2006.

6- Le Bon, Gustav / Life of Facts, translated by: Adel Zuaiter, Hendawi Foundation for Education and Culture - Cairo, Bla, 2013.

7- Cobblestone, Frederick / History of Philosophy, ed.6, translated by: Habib Sharoni - Mahmoud Sayed Ahmed, reviewed and presented by: Imam Abdel Fattah Emam, National Center for Translation - Egypt, 1st Edition, 2010.

8- Al-Mistkawi, Naguib / Jean-Jacques Rousseau's life, His books and His loves, Dar Al-Shorouk - Cairo, 1st Edition, 1989.

9-Walker, Robert / Rousseau, a very short article, translated by: Ahmed Muhammad al-Ruby, review by: Mustafa Muhammad Fouad, Hindawi Foundation for Education and Culture - Cairo, 1st Edition, 2015.

Third: magazines and periodicals

1. Haddad, Rami Naguib, Iyad Abdel-Hafeez Muhammad, and Ezz Ahmed Madi / Philosophy of Music Education for both Jean-Jacques Rousseau and John Pestalozzi “A Comparative Study”, Journal of the Association of Arab Universities for Education and Psychology - Jordan, Volume 16, Issue 3, 2018 .

2- Abd Al-Halim, Amal Mabrouk / The concept of goodness in modern philosophy, Journal of the Faculty of Arts, Issue 100, without da.

3- Alqudraa , Abdel-Al Hassan / The Influence of Jean-Jacques Rousseau on Farah Anton - A Comparative Study, Journal of the Islamic University, Volume 10, Issue 1, 2002.